(١١٣) سورة الفلق مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل الخوض فى التفسير لا بد من تقديم فصلين :

﴿ الفصل الأول ﴾ سمعت بعض العارفين فسر هاتين السورتين على وجه عجيب ، فقال إنه سبحانه لما شرح أمر الإلهية فى سورة الإخلاص ذكر هذه السورة عقيبها فى شرح مراتب مخلوقات الله فقال أولا (قل أعوذ برب الفلق) وذلك لأن ظلمات العدم غير متناهية ، والحق سبحانه هو الذى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد والإبداع ، فلهذا قال (قل أعوذ برب الفلق) ثم قال (من شر ما خلق) والوجه فيه أن عالم الممكنات على قسمين عالم الأمر وعالم الخلق على ما قال (ألا له الخلق والأمر) وعالم الأمر كله خيرات محضة بريئة عن الشرور والآفات ، أما عالم الخلق وهو عالم الأجسام والجسمانيات ، فالشر لا يحصل إلا فيه ، وإنما سمى عالم الأجسام والجسمانيات بعالم الخلق . لأن الخلق هو التقدير : والمقدار من لواحق الجسم ، فلما كان الأمر كذلك ، لاجرم قال : أعوذ بالرب الذى فلق ظلمات بحر العدم بنور الإيجاد والإبداع من الشرور الواقعة فى عالم الخلق وهو عالم الأجسام والجسمانيات ، ثم من الظاهر أن الأجسام ، إما أثرية أو عنصرية والأجسام الأثرية خيرات ، لأنها بريئة عن الاختلال والفطور ، على ما قال (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) وأما العنصريات فهى إما جماد أو نبات أو حيوان ، أما الجمادات فهى خالية عن جميع القوى النفسانية ، فالظلمة فيها خالصة والأنوار عنها بالكلية زائلة ، وهى المراد من قوله (ومن شر غاسق إذا وقب) وأما النبات فالقوة الغاذية النباتية هى التى تزيد فى الطول والعرض والعمق معاً ، فهذه النباتية كأنها تنفث فى العقد الثلاثة ، وأما الحيوان فالقوى الحيوانية هى الحواس الظاهرة والحواس الباطنية والشهوة والغضب وكلها تمنع الروح الإنسانية عن الانصباب إلى عالم الغيب ، والاشتغال بقدس جلال الله وهو المراد من قوله (ومن شر حاسد إذا حسد) ثم إنه لم يبق من السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الإنسانية ، وهى المستعيذة ، فلا تكون مستعاذاً منها ، فلاجرم قطع هذه السورة وذكر بعدها فى سورة الناس مراتب درجات النفس الإنسانية فى الترقى ، وذلك لأنها بأصل فطرتها مستعدة ، لأن تنتقش بمعرفة الله تعالى ومحبته إلا أنها تكون أول الأمر خالية عن هذه المعارف بالكلية ، ثم إنه فى المرتبة الثانية يحصل فيها علوم أولية بديهية يمكن التوصل بها إلى استعلام المجهولات

الفكرية ، ثم فى آخر الأمر تلك المجهولات الفكرية من القوة إلى الفعل ، فقوله تعالى (قل أعوذ برب الناس) إشارة إلى المرتبة الأولى من مراتب النفس الإنسانية وهى حال كونها خالية من جميع العلوم البديهية والكسبية ، وذلك لأن النفس فى تلك المرتبة تحتاج إلى مرب يربيها ويزينها بتلك المعارف البديهية ، ثم فى المرتبة الثانية وهى عند حصول هذه العلوم البديهية يحصل لها ملكة من الانتقال منها إلى استعلام العلوم الفكرية وهو المراد من قوله (ملك الناس) ثم فى المرتبة الثالثة وهى عند خروج تلك العلوم الفكرية من القوة إلى الفعل يحصل الكمال التام للنفس وهو المراد من قوله (إله الناس) فكأن الحق سبحانه يسمى نفسه بحسب كل مرتبة من مراتب النفس الإنسانية بما يليق بتلك المرتبة . ثم قال (من شر الوسواس الخناس) والمراد منه القوة الوهمية ، والسبب فى اطلاق اسم الخناس على الوهم أن العقل والوهم ، قد يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ، ثم إذا آل الأمر إلى النتيجة فالعقل يساعد على النتيجة والوهم يخنس ، ويرجع ويمتنع عن تسليم النتيجة ، فلهذا السبب يسمى الوهم (بالخناس) ثم بين سبحانه أن ضرر هذا الخناس عظيم على العقل ، وأنه قلما ينفك أحد عنه فكأنه سبحانه بين فى هذه السورة مراتب الأرواح البشرية ونبه على عدوها ونبه على مابه يقع الامتياز بين العقل وبين الوهم ، وهناك آخر درجات مراتب النفس الإنسانية ، فلا جرم ، وقع ختم الكتاب الكريم والفرقان العظيم عليه .

﴿ الفصل الثانى ﴾ ذكروا فى سبب نزول هذه السورة وجوها (أحدها) روى أن جبريل عليه السلام أتاه وقال إن عفريتاً من الجن يكيدك ، فقال إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب السورتين (وثانيها) أن الله تعالى أنزلهما عليه ليكونا رقية من العين ، وعن سعيد بن المسيب أن قريشاً قالوا : تعالوا نتجوع فنعين محمداً ففعلوا ، ثم أتوه وقالوا ما أشد عضدك ، وأقوى ظهرك وأنضر وجهك ، فأنزل الله تعالى المعوذتين (وثالثها) وهو قول جمهور المفسرين ، أن لبيد بن أعصم اليهودى سحر النبى ﷺ فى إحدى عشرة عقدة وفى وتر دسه فى بئر يقال لها ذروان فمرض رسول الله ﷺ ، واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان لذلك ، وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل عليا عليه السلام ، وطلحة وجاءا به ، وقال جبريل للنبى حل عقدة ، واقرأ آية ففعل وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة فكان يجد بعض الخفة والراحة .

واعلم أن المعتزلة أنكروا ذلك بأسرهم ، قال القاضى هذه الرواية باطلة ، وكيف يمكن القول بصحتها ، والله تعالى يقول (والله يعصمك من الناس) وقال (ولا يفلح الساحر حيث أتى) ولأن تجويزه يفضى إلى القدح فى النبوة ، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين ، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم ، وكل ذلك باطل ، ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور ، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى تلك

الدعوة ، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ، ومعلوم أن ذلك غير جائز ، قال الأصحاب : هذه القصة قد صحت عند جمهور أهل النقل ، والوجوه المذكورة قد سبق الكلام عليها فى سورة البقرة أما قوله : الكفار كانوا يعيبون الرسول عليه السلام بأنه مسحور ، فلو وقع ذلك لكان الكفار صادقين فى ذلك القول (فجوابه) أن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحوراً أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر ، فلذلك ترك دينهم ، فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده فى بدنه فذلك مما لا ينكره أحد ، وبالجملة فالله تعالى ماكان يسلط عليه لا شيطاناً ولا إنسياً ولا جنياً يؤذيه فى دينه وشرعه ونبوته ، فأما فى الإضرار ببدنه فلا يبعد ، وتمام الكلام فى هذه المسألة قد تقدم فى سورة البقرة ولنرجع إلى التفسير :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى قوله (قل) فوائد (أحدها) أنه سبحانه لما أمر بقراءة سورة الإخلاص تنزيهاً له عما لا يليق به فى ذاته وصفاته ، وكان ذلك من أعظم الطاعات ، فكأن العبد قال : إلهنا هذه الطاعة عظيمة جداً لا أثق بنفسى فى الوفاء بها ، فأجاب بأن قال (قل أعوذ برب الفلق) أى استعذ بالله ، والتجىء إليه حتى يوفقك لهذه الطاعة على أكمل الوجوه (وثانيها) أن الكفار لما سألوا الرسول عن نسب الله وصفته ، فكأن الرسول عليه السلام قال : كيف أنجو من هؤلاء الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك مالا يليق بك ، فقال الله (قل أعوذ برب الفلق) أى استعذ بى حتى أصونك عن شرهم (وثالثها) كأنه تعالى يقول : من التجأ إلى بيتى شرفته وجعلته آمناً فقلت ومن دخله كان آمناً فالتجىء أنت أيضاً إلى حتى أجعلك آمناً (فقل أعوذ برب الفلق) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ اختلفوا فى أنه هل يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ أم لا ؟ منهم قال إنه يجوز واحتجوا بوجوه (أحدها) ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل عليه السلام ، فقال بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك ، والله يشفيك (وثانيها) قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ يعلمنا من الأوجاع كلها والحمى هذا الدعاء « بسم الله الكريم ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ، ومن شر حر النار » (وثالثها) قال عليه السلام من دخل على مريض لم يحضره أجله ، فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات شفى (ورابعها) عن على عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض قال : « أذهب الباس رب الناس ، اشف أنت الشافى ، لاشافى إلا أنت » (وخامسها) عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من شيطان وهامة ، ومن

كل عين لامة» ويقول هكذا كان أبي إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق (وسادسها) قال عثمان بن أبي العاص الثقفي قدمت على رسول الله وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله ﷺ «اجعل يدك اليمنى عليه ، وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني الله (وسابعها) روى أنه عليه السلام كان إذا سافر فنزل منزلا يقول «يا أرض ، ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ما يخرج منك ، وشر مايدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود وحية وعقرب ، ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد» (وثامنها) قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا اشتكى شيئاً من جسده قرأ (قل هو الله أحد) والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي ومن الناس من منع من الرقى لما روى عن جابر ، قال نهى رسول الله ﷺ عن الرقى ، وقال عليه السلام «إن لله عباداً لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» وقال عليه السلام «لم يتوكل على الله من اكتوى واسترقى» وأجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون النهى عن الرقى المجهولة التي لا تعرف حقائقها ، فأما ماكان له أصل موثوق ، فلا نهى عنه ، واختلفوا في التعليق ، فروى أنه عليه السلام قال «من علق شيئاً وكل إليه» وعن ابن مسعود : أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعضدها ، فجذبها جذباً عنيفاً فقطعها ، ومنهم من جوزه ، سئل الباقر عليه السلام عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه ، واختلفوا في النفث أيضاً ، فروى عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ ينفث على نفسه إذا اشتكى بالمعوذات ويمسح بيده ، فلما اشتكى رسول الله ﷺ وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث بها على نفسه ، وعنه عليه السلام «أنه كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ فيهما بالمعوذات ، ثم مسح بهما جسده» ومنهم من أنكر النفث ، قال عكرمة : لا ينبغي للرقى أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد . وعن إبراهيم قال : كانوا يكرهون النفث في الرقى ، وقال بعضهم : دخلت على الضحاك وهو وجيع ، فقلت ألا أعوذك يا أبا محمد ؟ قال بلى ولكن لا تنفث ، فعوذته بالمعوذتين . قال الحليمي : الذي روى عن عكرمة أنه ينبغي للراقي أن لا ينفث ولا يمسح ولا يعقد ، فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ منه ، فوجب أن يكون منهياً عنه إلا أن هذا ضعيف ، لأن النفث في العقد إنما يكون مذموماً إذا كان سحراً مضراً بالأرواح والأبدان . فأما إذا كان هذا النفث لإصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون حراماً .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ أنه تعالى قال في مفتاح القراءة (فاستعذ بالله) وقال ههنا (أعوذ برب الفلق) وفي موضع آخر (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وجاء في الأحاديث (أعوذ بكلمات الله التامات) ولا شك أن أفضل أسماء الله هو الله ، وأما الرب فإنه قد يطلق على غيره ، قال تعالى (أأرباب متفرقون) فما السبب في أنه تعالى عند الأمر بالتعوذ لم يقل أعوذ بالله بل قال (برب الفلق) ؟ وأجابوا عنه من وجوه : (أحدها) أنه في قوله (وإذا قرأت القرآن فاستعذ

بالله) إنما أمره بالاستعاذة هناك لأجل قراءة القرآن ، وإنما أمره بالاستعاذة ههنا فى هذه السورة لأجل حفظ النفس والبدن عن السحر ، والمهم الأول أعظم ، فلا جرم ذكر هناك الاسم الأعظم (وثانيها) أن الشيطان يبالغ حال منعك من العبادة أشد مبالغة فى إيصال الضر إلى بدنك وروحك ، فلا جرم ذكر الاسم الأعظم هناك دون ههنا (وثالثها) أن اسم الرب يشير إلى التربية فكأنه جعل تربية الله له فيما تقدم وسيلة إلى تربيته له فى الزمان الآتى ، أو كان العبد يقول : التربية والاحسان حرفتك فلا تهملنى ، ولا تخيب رجائى (ورابعها) أن بالتربية صار شارعاً فى الإحسان ، والشروع ملزم (وخامسها) أن هذه السورة آخر سور القرآن فذكر لفظ الرب تنبيهاً على أنه سبحانه لا تنقطع عنك تربيته وإحسانه ، فإن قيل إنه ختم القرآن على اسم الإله حيث قال (ملك الناس إله الناس) قلنا فيه لطيفة وهى كونه تعالى قال قل أعوذ بمن هو ربى ولكنه إله قاهر لوسوسة الخناس فهو كالأب المشفق الذى يقول ارجع عند مهماتك إلى أبيك المشفق عليك الذى هو كالسيف القاطع والنار المحرقة لأعدائك فيكون هذا من أعظم أنواع الوعد بالإحسان والتربية (وسادسها) كان الحق قال لمحمد عليه السلام قلبك لى فلا تدخل فيه حب غيرى ، ولسانك لى فلا تذكر به أحداً غيرى ، وبدنك لى فلا تشغله بخدمة غيرى ، وإن أردت شيئاً فلا تطلبه إلا منى ، فإن أردت العلم فقل (رب زدنى علماً) وإن أردت الدنيا فاسألوا الله من فضله ، وإن خفت ضرراً فقل (أعوذ برب الفلق) فإنى أنا الذى وصفت نفسى بأنى خالق الاصباح . وبأنى فالق الحب والنوى ، وما فعلت هذه الأشياء إلا لأجلك ، فإذا كنت أفعل كل هذه الأمور لأجلك ، أفلا أصونك عن الآفات والمخافات .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ ذكروا فى (الفلق) وجوهاً (أحدها) أنه الصبح وهو قول الأكثرين قال الزجاج لأن الليل يفلق عنه الصبح ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح وتخصيصه فى التعوذ لوجوه (الأول) أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه (الثانى) أن طلوع الصبح كالمثال لمجىء الفرج ، فكما أن الإنسان فى الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صباح النجاح (الثالث) أن الصبح كالبشرى فإن الإنسان فى الظلام يكون كلحم على وضم ، فإذا ظهر الصبح فكأنه صاح بالأمان وبشر بالفرج ، فلهذا السبب يجد كل مريض ومهموم خفة فى وقت السحر ، فالحق سبحانه يقول (قل أعوذ برب) يعطى إنعام فلق الصبح قبل السؤال فكيف بعد السؤال (الرابع) قال بعضهم إن يوسف عليه السلام لما ألقى فى الجب وجعت ركبته وجعاً شديداً فبات ليلته ساهراً فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام بإذن الله يسليه ويأمره بأن يدعوا ربه فقال يا جبريل ادع أنت وأؤمن أنا فدعا جبريل وأمن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر ، فلما طاب وقت يوسف قال جبريل وأنا أدعو أيضاً

وتؤمن أنت ، فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت ، فلا جرم ما من مريض إلا ويجد نوع خفة في آخر الليل ، وروى أن دعاءه في الجب : يا عدتي في شدتي ويامؤنسي في وحشتي وياراحم غربتي ويا كاشف كربتي ويامجيب دعوتي ، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي ياحي ياقوم ياذا الجلال والإكرام (الخامس) لعل تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لأنه وقت دعاء المضطرين وإجابة الملهوفين فكأنه يقول قل أعوذ برب الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم (السادس) يحتمل أنه خص الصبح بالذكر لأنه أنموذج من يوم القيامة لأن الخلق كالأموات والدور كالقبور ، ثم منهم من يخرج من داره مفلساً عرياناً لا يلتفت إليه ، ومنهم من كان مديوناً فيجر إلى الحبس ، ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقدم إليه المراكب ويقوم الناس بين يديه ، كذا في يوم القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى يجر إلى الملك الجبار ، ومن عبد كان مطيعاً لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم إليه البراق (السابع) يحتمل أنه تعالى خص الصبح بالذكر لأنه وقت الصلاة الجامعة لأحوال القيامة فالقيام في الصلاة يذكر القيام يوم القيامة كما قال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) والقراءة في الصلاة تذكر قراءة الكتب والركوع في الصلاة يذكر من القيامة قوله (ناكسوا رؤوسهم) والسجود في الصلاة يذكر قوله (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) والقعود يذكر قوله (وترى كل أمة جاثية) فكان العبد يقول : إلهي كما خلصتني من ظلمة الليل خلصني من هذه الأهوال ، وإنما خص وقت صلاة الصبح لأن لها مزيد شرف على ما قال (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أي تحضرها ملائكة الليل والنهار (الثامن) أنه وقت الاستغفار والتضرع على ماقال (والمستغفرين بالأسحار) (القول الثاني) في الفلق أنه عبارة عن كل ما يفلقه الله كالأرض عن النبات (إن الله فالق الحب والنوى) والجبال عن العيون (وإن منها لما يتفجر منه الأنهار) والسحاب عن الأمطار والأرحام عن الأولاد والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف ، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انقلاب ، بل العدم كأنه ظلمة والنور كأنه الوجود ، وثبت أنه كان الله في الأزل ولم يكن معه شيء البتة فكأنه سبحانه هو الذي فلق بحار ظلمات العدم بأنوار الإيجاد والتكوين والإبداع ، فهذا هو المراد من الفلق ، وهذا التأويل أقرب من وجوه (أحدها) هو أن الموجود إما الخالق وإما الخلق ، فإذا فسرنا الفلق بهذا التفسير صار كأنه قال : قل أعوذ برب جميع الممكنات ، ومكون كل المحدثات والمبدعات . فيكون التعظيم فيه أعظم ، ويكون الصبح أحد الأمور الداخلة في هذا المعنى (وثانيها) أن كل موجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته ، والممكن لذاته يكون موجوداً بغيره ، معدوماً في حد ذاته ، فإذن كل ممكن فلا بد له من مؤثر يؤثر فيه حال حدوثه ويبقيه حال بقائه ، فإن الممكن حال بقائه يفتقر إلى المؤثر والتربية ، إشارة لا إلى حال الحدوث بل إلى حال البقاء ، فكأنه يقول : إنك لست محتاجاً إلى حال

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

الحدوث فقط بل فى حال الحدوث وحال البقاء معاً فى الذات وفى جميع الصفات ، فقوله (برب الفلق) يدل على احتياج كل ما عداه إليه حالتى الحدوث والبقاء فى الماهية والوجود بحسب الذوات والصفات وسر التوحيد لا يصفو عن شوائب الشرك إلا عند مشاهدة هذه المعانى ، (وثالثها) أن التصوير والتكوين فى الظلمة أصعب منه فى النور ، فكأنه يقول أنا الذى أفعل ما أفعله قبل طلوع الأنوار وظهور الأضواء ومثل ذلك مما لا يتأتى إلا بالعلم التام والحكمة البالغة وإليه الإشارة بقوله (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

(القول الثالث) أنه واد فى جهنم أوجب فيها من قولهم لما اطمأن من الأرض الفلق والجمع فلقان ، وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خصب العيش فقال لا أبالى ، أليس من ورائهم الفلق ، فقيل وما الفلق ؟ قال بيت فى جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، وإنما خصه بالذكر ههنا لأنه هو القادر على مثل هذا التعذيب العظيم الخارج عن حد أوهام الخلق ، ثم قد ثبت أن رحمته أعظم وأكمل وأتم من عذابه ، فكأنه يقول ياصاحب العذاب الشديد أعوذ برحمتك التى هى أعظم وأكمل وأتم وأسبق وأقدم من عذابك .

قوله تعالى : ﴿ من شر ما خلق ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى تفسير هذه الآية وجوه (أحدها) قال عطاء عن ابن عباس يريد إبليس خاصة لأن الله تعالى لم يخلق خلقاً هو شر منه ولأن السورة إنما نزلت فى الاستعاذة من السحر ، وذلك إنما يتم بإبليس وبأعوانه وجنوده (وثانيها) يريد جهنم كأنه يقول قل أعوذ برب جهنم ومن شدائد ما خلق فيها (وثالثها) (من شر ما خلق) يريد من شر أصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع والهوام وغيرهما ، ويجوز أن يدخل فيه من يؤذينى من الجن والإنس أيضاً ووصفاً فعالها بأنها شر ، وإنما جاز إدخال الجن والإنسان تحت لفظة ما ، لأن الغلبة لما حصلت فى جانب غير العقلاء حسن استعمال لفظة ما فيه ، لأن العبرة بالأغلب أيضاً ويدخل فيه شرور الأطعمة الممرضة وشرور الماء والنار ، فإن قيل الآلام الحاصلة عقيب الماء والنار ولدغ الحية والعقرب حاصلة بخلق الله تعالى ابتداء ، على قول أكثر المتكلمين ، أو متولدة من قوى خلقها الله تعالى فى هذه الأجرام ، على ما هو قول جمهور الحكماء وبعض المتكلمين ، وعلى التقديرين فيصير حاصل الآية أنه تعالى أمر الرسول عليه السلام بأن يستعيذ بالله من الله ، فما معناه ؟ قلنا وأى بأس بذلك ، ولقد صرح عليه السلام بذلك ، فقال « وأعوذ بك منك » (ورابعها) أراد به ما خلق من الأمراض والأسقام والقحط وأنواع المحن والآفات ، وزعم الجبائى والقاضى أن هذا التفسير باطل ، لأن فعل الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شر ، قالوا

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

ويدل عليه وجوه (الأول) أنه يلزم على هذا التقدير أن الذى أمر بالتعوذ منه هو الذى أمرنا أن نتعوذ به ، وذلك متناقض (والثانى) أن أفعال الله كلها حكمة وصواب ، وذلك لا يجوز أن يقال إنه شر (والثالث) أن فعل الله لو كان شراً لوصف فاعله بأنه شرير ويتعالى الله عن ذلك (والجواب) عن الأول أنا بينا أنه لا امتناع فى قوله أعوذ بك منك ؟ وعن الثانى أن الإنسان لما تألم به فإنه يعد شراً ، فورد اللفظ على وفق قوله ، كما فى قوله . (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وعن الثالث أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ، ثم الذى يدل على جواز تسمية الأمراض والأسقام بأنها شرور قوله تعالى (إذا مسه الشر جزوعا) وقوله (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) وكان عليه السلام يقول « وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار » .

﴿ المسألة الثانية ﴾ طعن بعض الملحدة فى قوله (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) من وجوه (أحدها) أن المستعاذ منه أهو واقع بقضاء الله وقدره ، أولا بقضاء الله ولا بقدره ؟ فإن كان الأول فكيف أمر بأن يستعيذ بالله منه ، وذلك لأن ماقضى الله به وقدره فهو واقع ، فكأنه تعالى يقول الشىء الذى قضيت بوقوعه ، وهو لابد واقع فاستعذ بى منه حتى لا أوقعه ، وإن لم يكن بقضائه وقدره فذلك يقدح فى ملك الله وملكوته (وثانيها) أن المستعاذ منه إن كان معلوم الوقوع فلا دافع له ، فلا فائدة فى الاستعاذة وإن كان معلوم اللاوقوع ، فلا حاجة إلى الاستعاذة (وثالثها) أن المستعاذ منه إن كان مصلحة فكيف رغب المكلف فى طلب دفعه ومنعه ، وإن كان مفسدة فكيف خلقه وقدره ، واعلم أن الجواب عن أمثال هذه الشبهات ، أن يقال إنه (لا يسأل عما يفعل) وقد تكرر هذا الكلام فى هذا الكتاب .

قوله تعالى : ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴾ ذكروا فى الغاسق وجوهاً (أحدها) أن الغاسق هو الليل إذا عظم ظلامه من قوله (إلى غسق الليل) ومنه غسقت العين إذا امتلأت دمعاً وغسقت الجراحة إذا امتلأت دماً ، وهذا قول الفراء وأبى عبيدة ، وأنشد ابن قيس :

إن هذا الليل قد غسقا   واشتكيت الهم والأرقا

وقال الزجاج الغاسق فى اللغة هو البارد ، وسمى الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار ، ومنه قوله إنه الزمهرير (وثالثها) قال قوم الغاسق والغساق هو السائل من قولهم : غسقت العين تغسق غسقاً إذا سالت بالماء ، وسمى الليل غاسقاً لانصباب ظلامه على الأرض . أما الوقوب فهو الدخول فى شىء آخر بحيث يغيب عن العين ، يقال وقب يقب وقوباً إذا دخل ، الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها الماء ، والإيقاب إدخال الشىء فى الوقبة ، هذا ما يتعلق باللغة وللمفسرين فى الآية أقوال

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾

(أحدها) أن الغاسق إذا وقب هو الليل إذا دخل ، وإنما أمر أن يتعوذ من شر الليل لأن فى الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها ، ويهجم السارق والمكابر ويقع الحريق ويقل فيه الغوث ، ولذلك لو شهر [معتد] سلاحاً على إنسان ليلاً فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ، ولو كان نهاراً يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث ، وقال قوم إن فى الليل تنتشر الأرواح المؤذية المسماة بالجن والشياطين ، وذلك لأن قوة شعاع الشمس كأنها تقهرهم ، أما فى الليل فيحصل لهم نوع استيلاء (وثانيها) أن الغاسق إذا وقب هو القمر ، قال ابن قتيبة الغاسق القمر سمى به لأنه يكسف فيغسق ، أى يذهب ضوؤه ويسود ، [و] وقوبه دخوله فى ذلك الاسوداد ، روى أبو سلمة عن عائشة أنه أخذ رسول الله ﷺ بيدها وأشار إلى القمر ، وقال « استعيذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب » قال ابن قتيبة : ومعنى قوله تعوذى بالله من شره إذا وقب أى إذا دخل فى الكسوف ، وعندى فيه وجه آخر : وهو أنه صح أن القمر فى جرمه غير مستنير بل هو مظلم ، فهذا هو المراد من كونه غاسقاً ، وأما وقوبه فهو انمحاء نوره فى آخر الشهر ، والمنجمون يقولون إنه فى آخر الشهر يكون منحوساً قليل القوة لأنه لا يزال ينتقص نوره فبسبب ذلك تزداد نحوسته ، ولذلك فإن السحرة إنما يشتغلون بالسحر المورث للتمريض فى هذا الوقت ، وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها إنما نزلت لأجل أنهم سحروا النبى ﷺ لأجل التمريض (وثالثها) قال ابن زيد الغاسق إذا وقب يعنى الثريا إذا سقطت قال ، وكانت الأسقام تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها ، وعلى هذا تسمى الثريا غاسقاً ، لانصبابه عند وقوعه فى المغرب ، ووقوبه دخوله تحت الأرض وغيبوبته عن الأعين (ورابعها) قال صاحب الكشاف يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقوبه ضربه ونقبه ، والوقب والنقب واحد ، واعلم أن هذا التأويل أضعف الوجوه المذكورة (وخامسها) الغاسق (إذا وقب) هو الشمس إذا غابت وإنما سميت غاسقاً لأنها فى الفلك تسبح فسمى حركتها وجريانها بالغسق ، ووقوبها غيبتها ودخولها تحت الأرض .

قوله تعالى : ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ فيه مسائل .

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى الآية قولان (الأول) أن النفث النفخ مع ريق ، هكذا قاله صاحب الكشاف ، ومنهم من قال إنه النفخ فقط ، ومنه قوله عليه السلام إن جبريل نفث فى روعى والعقد جمع عقدة ، والسبب فيه أن الساحر إذا أخذ فى قراءة الرقية أخذ خيطاً ، ولا يزال يعقد عليه عقداً بعد عقد وينفث فى تلك العقد ، وإنما أنث النفاثات لوجوه (أحدها) أن هذه الصناعة إنما تعرف بالنساء لأنهن يعقدن وينفثن ، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر وإحكام الهمة والوهم فيه ، وذلك إنما يتأتى من النساء لقلة علمهن وشدة شهوتهن ، فلا جرم كان

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

هذا العمل منهن أقوى ، قال أبو عبيدة (النفاثات) هن بنات لبيد بن أعصم اليهودى سحرن النبى ﷺ (وثانيها) أن المراد من (النفاثات) النفوس (وثالثها) المراد منها الجماعات ، وذلك لأنه كلما كان اجتماع السحرة على العمل الواحد أكثر كان التأثير أشد (القول الثانى) وهو اختيار أبى مسلم (من شر النفاثات) أى النساء فى العقد ، أى فى عزائم الرجال وآرائهم وهو مستعار من عقد الحبال ، والنفث وهو تليين العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حله سهلا ، فمعنى الآية أن النساء لأجل كثرة حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فى الرجال يحولنهم من رأى إلى رأى ، ومن عزيمة إلى عزيمة ، فأمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن كقوله (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فلذلك عظم الله كيدهن فقال (إن كيدكن عظيم) .

واعلم أن هذا القول حسن ، لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين .

﴿ المسألة الثانية ﴾ نكرت المعتزلة تأثير السحر ، وقد تقدمت هذه المسألة ، ثم قالوا سبب الاستعاذة من شرهن لثلاثة أوجه (أحدها) أن يستعاذ من اثم عملهن فى السحر (والثانى) أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن (والثالث) أن يستعاذ من إطعامهن الأطعمة الرديئة المورثة للجنون والموت .

قوله تعالى : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ من المعلوم أن الحاسد هو الذى تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه ، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل ، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه ، وقد دخل فى هذه السورة كل شر يتوقى ويتحرز منه ديناً ودنيا ، فلذلك لما نزلت فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولها لكونها مع ما يليها جامعة فى التعوذ لكل أمر ، ويجوز أن يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله فى وقت حسده وإظهاره أثره . بقى هنا سؤالان :

﴿ السؤال الأول ﴾ قوله (من شر ما خلق) عام فى كل ما يستعاذ منه ، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (الجواب) تنبيهاً على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر .

﴿ السؤال الثانى ﴾ لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه ؟ (الجواب) عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ، ونكر غاسقاً لأنه ليس كل غاسق شريراً ، وأيضاً ليس كل حاسد شريراً ، بل رب حسد يكون محموداً وهو الحسد فى الخيرات .

والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

تفسير سورة «الفلق»

وهي مكية؛ في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. ومدنِية؛ في أحد قولي ابن عباس وقتادة. وهي خمس آيات.

وهذه السورة وسورة «الناس» و«الإخلاص» تعوَّذ بهنَّ رسول الله ﷺ حين سَحَرته اليهود؛ على ما يأتي. وقيل: إن المُعَوِّذتين كان يقال لهما: المُقشقِشتان، أي: تُبْرئان من النِّفاق. وقد تقدَّم[1]. وزعم ابن مسعود أنهما دعاءٌ تعوَّذ به، وليستا من القرآن؛ خالف به الإجماعَ من الصحابة وأهل البيت[2].

قال ابن قتيبة: لم يَكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوِّذتين؛ لأنه كان يسمع رسولَ الله ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما، فقدَّر أنهما بمنزلة: «أُعيذُكما بكلماتِ الله التامَّةِ، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة»[3].

قال أبو بكر الأنباريّ: وهذا مردودٌ على ابن قتيبة؛ لأن المعوِّذتين من كلام رب العالمين المُعجز لجميع المخلوقين، و«أُعيذكما بكلماتِ الله التامَّة» من قول البشريين[4]. وكلامُ الخالق الذي هو آيةٌ لمحمد ﷺ خاتم النبيين، وحُجَّةٌ له باقية على جميع الكافرين، لا يلتبس بكلام الآدميين، على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان، العالم باللغة، العارف بأجناسِ الكلام، وأفانين القول.

وقال بعض الناس: لم يكتب عبدُ الله المعوِّذتين لأنه أَمِنَ عليهما من النسيان،

---

(١) ص٥٣٣ من هذا الجزء.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٧٣ . وقول ابن مسعود ﷺ أخرجه البزار في مسنده (١٥٨٦) ولفظه: كان عبد الله يحكُّ المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوَّذ بهما، وكان عبد الله لا يقرأ بهما. وأخرجه بمعناه أحمد (٢١١٨١) والبخاري (٤٩٧٧) وينظر ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٧٤١ - ٧٤٣ في هذه المسألة.

(٣) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (م) البشر بيِّنٌ.

فأَسقطهما وهو يحفظهما؛ كما أسقط فاتحةَ الكتاب من مصحفه، وما يُشَكُّ في حفظه وإتقانه لها. فردّ هذا القول على قائله، واحتجَّ عليه بأنه قد كتب: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، و﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وهن يجرين مجرى المعوِّذتين في أنهن غير طوال، والحفظ إليهن أسرعُ، ونسيانُهن مأمون، وكلهنَّ يُخالف فاتحة الكتاب؛ إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها. وسبيل كل ركعة أن تكون المقدَّمة فيها قبل ما يُقرأ من بعدها، فإسقاط فاتحة الكتاب من المصحف، على معنى الثقة ببقاء حفظها، والأمن من نسيانها، صحيح، وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها، ولا يُسْلك به طريقها. وقد مضى هذا المعنى في سورة «الفاتحة»[(١)] والحمد لله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

فيه تسعة مسائل:

الأولى: روى النسائيّ عن عقبة بن عامر، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو راكب، فوضعتُ يدي على قدمه، فقلت: أَقرئني سورةَ يوسف. فقال لي: «ولَنْ تَقرأ شيئاً أبلغَ عند الله من ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾»[(٢)]. وعنه قال: بينا أنا أَسير مع النبيّ ﷺ بين الجُحْفَة والأَبْواءِ، إذ غَشِيَتْنَا ريح مُظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ «أعوذ برب الفلق»، و«أعوذ برب الناس»، ويقول: «يا عقبة، تعوَّذ بهما، فما تعوّذ مُتعوِّذ

(١) ١/ ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) سنن النسائي (المجتبى) ٨/ ٢٥٤ ، وأخرجه أحمد (١٧٣٤١).

بمثلهما». قال: وسمعتُه يقرأ بهما في الصلاة[١].

وروى النَّسائي عن عبد الله قال: أصابنا طَشٌّ وظُلْمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يخرج[٢]، ثم ذكر كلاماً معناه: فخرج رسولُ الله ﷺ [لِيصلِّي بنا]، فقال: «قُلْ». فقلت: ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد والمعوذتين، حين تمسي وحين تُصبح ثلاثاً، يكفِك كل شيء»[٣].

وعن عقبة بن عامر الجُهَنِي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قُلْ». قلت: ما أقول؟ قال: «قل: قل هو الله أحد. قل أعوذ برب الفلق. قل أعوذ برب الناس» فقرأهُنَّ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «لم يتعوَّذ الناسُ بمثلهنَّ» أو «لا يتعوَّذ الناس بمثلهنَّ»[٤].

وفي حديث ابن عابس[٥]: «قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتين السورتين». وفي «صحيح» البخاري ومسلم عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نَفْسه بالمُعوِّذتَيْنِ ويَنْفِثُ، فلما اشتدَّ وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاءَ بركتها[٦]. النَّفْث: النفخ ليس معه ريق.

الثانية: ثبت في «الصحيحين»[٧] من حديث عائشة أن النبيّ ﷺ سَحَره يهوديٌّ من يهود بني زُرَيْق، يقال له لَبِيدُ بن الأَعْصم، حتى يخيلُ إليه أنه كان يفعل الشيء ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٣).

(٢) لفظ: يخرج، من (د) و(م)، وفي سنن النسائي: ليصلِّي بنا.

(٣) سنن النسائي (المجتبى) ٨/ ٢٥٠ - وما بين حاصرتين منه - وأخرجه أحمد (٢٢٦٦٤)، وعبد الله: هو ابن خُبيب ﷺ، وقوله: طشّ، أي: مطر خفيف. قاله السندي كما في حاشية المسند.

(٤) أخرجه النسائي ٨/ ٢٥١ .

(٥) في النسخ: ابن عباس، وهو خطأ، والحديث أخرجه أحمد (١٧٢٩٧)، والنسائي ٨/ ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٦) صحيح البخاري (٥٧٣٥)، وصحيح مسلم (٢١٩٢)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٣١)، وسلف قسم منه ٢/ ٢٧٦ .

(٧) صحيح البخاري (٥٧٦٣)، وصحيح مسلم (٢١٨٩)، وهو في مسند أحمد (٢٤٣٠٠).

يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ـ في غير الصحيح: سنة[١] ـ ثم قال: «يا عائشة، أَشعرتِ أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه. أتاني ملكان، فجلس أحدُهما عند رأسي، والآخر عند رِجلي، فقال [أحدهما لصاحبه][٢]: ما شأن الرجل؟ قال: مطْبوب[٣]. قال: ومَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بن الأعصم. قال: في ماذا؟ قال: في مُشْط ومُشاطة وجُفِّ طلعةٍ ذكر[٤]، تحت راعوفة في بئر ذي أَرْوَان». فجاء البئر واستخرجه. انتهى الصحيح.

وقال ابن عباس: «أما شَعَرْتِ يا عائشة أن الله تعالى أخبرني بدائي». ثم بعث عَلِيًّا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماءَ تلك البئر كأنه نُقاعة الحِنَّاء، ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة ـ صخرة تُترَكُ أسفلَ البئر يقوم عليها المائح[٥] ـ وأخرجوا الجُفَّ، فإذا مُشَاطة رأس إنسان، وأسنان من مُشْط، وإذا وتر معقودٌ فيه إحدى عشرةَ عقدةً مغرزةً بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العُقَد، وأُمر أن يَتَعَوَّذُ بهما؛ فجعل كلما قرأ آيةً انحلَّت عقدة، ووجد النبيُّ ﷺ خِفَّةً، حتى انحلَّت العقدةُ الأخيرة، فكأنما أُنْشِطَ من عِقال، وقال: ليس به بأس. وجعل جبريل يَرْقي رسول الله ﷺ فيقول: «بسم الله أَرْقِيك، من كل شيء يُؤذيك، من شرِّ حاسدٍ وعَيْن، والله يَشْفِيك». فقالوا: يا رسول الله، ألا نقتلُ الخبيثَ. فقال:

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٠/٢٢٦: قال السهيلي: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر حتى ظَفِرتُ به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر، كذا قال، وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح، فهو المعتمد. اهـ.

(٢) ما بين حاصرتين من صحيح البخاري.

(٣) أي: مسحور. فتح الباري ١٠/٢٢٦.

(٤) قال السندي كما في حاشية المسند: قوله: جُفّ طلعة ذكر: هو الغشاء الذي على طلع النخل، ويطلق النخل على الذكر والأنثى، ولذا قيَّده بالذكر.

(٥) المائح: الذي يكون في أسفل البئر يملأ الدلو. أما الماتح: فهو المستقي من البئر بالدلو من أعلى البئر. النهاية (متح).

«أمّا أنا فقد شفانِي الله، وأكره أن أُثيرَ على الناس شَرًّا»[(١)].

وذكر القشيري في «تفسيره» أنه ورد في الصِّحاح: أن غلاماً من اليهود كان يخدمُ النبيّ ﷺ، فدسَّتْ إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أَخَذَ مُشاطة رأس النبيّ ﷺ. ـ والمُشاطة، بضم الميم: ما يسقُط من الشعر عند المَشْط[(٢)] ـ وأخذ عدّةً من أسنان مُشْطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي يتولى ذلك لَبيدُ بن الأَعْصم اليهوديّ. وذكر نحو ما تقدّم عن ابن عباس.

الثالثة: تقدّم في البقرة القول في السحر وحقيقته، وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد، وحكم الساحر[(٣)]؛ فلا معنى لإعادته.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ اختُلف فيه؛ فقيل: سجن في جَهنم؛ قاله ابن عباس. وقال أُبَيُّ بن كعب: بيت في جهنم إذا فُتح صاح أهلُ النار من حره. وقال الحُبُليّ أبو عبد الرحمن: هو اسْمٌ من أسماء جهنم. وقال الكلبي: وادٍ في جهنم. وقال عبد الله بن عمر: شجرة في النار. سعيد بن جُبير: جُبٌّ في النار.

النحاس: يقال لما اطمأنَّ من الأرض: فَلَق؛ فعلى هذا يَصِحُّ هذا القول. وقال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير أيضاً ومجاهد وقتادة والقُرَظيّ وابن زيد: الفَلَق: الصُّبْح. وقاله ابن عباس[(٤)]. تقول العرب: هو أبينُ من فَلَقِ الصُّبْح، وفَرَق

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس وعائشة ﷺ، كما في تفسير ابن كثير ٨/٥٣٨ . قال الحافظ ابن كثير: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم.
وقوله منه: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين اللهُ يشفيك» وأن جبريل رقى بهذه الكلمات النبي ﷺ أخرجه أحمد (١١٢٢٥) و(٢٥٢٧٢)، ومسلم (٢١٨٦) و(٢١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) المفهم ٥/٥٧٢ .

(٣) ٢/٢٧٢ وما بعدها.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٤/٧٤١ - ٧٤٤ .

الصبح[١]. وقال الشاعر:

يـا لـيـلـةً لـم أَنَـمْـهَـا بِـتُّ مُـرْتَـفِـقـاً ... أَرْعَـى الـنـجـومَ إلـى أنْ نَـوَّرَ الـفـلَـقُ[٢]

وقيل: الفلق: الجبال والصخور تنفلق بالمياه، أي: تتشقق.

وقيل: هو التفليق بين الجبال والصخور؛ لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل. قال زهير:

مـا زِلْـتُ أَرْمُـقُـهُـمْ حـتـى إذا هَـبَـطَـتْ ... أيـدِي الـرِّكـابِ بِـهِـمْ مِـن راكِـسٍ فَـلَـقَـا[٣]

الراكس: بطن الوادي. وكذلك هو في قول النابغة:

أَتـانـي ودُونـي راكِـسٌ فـالـضَّـواجِـعُ[٤]

والراكس أيضاً: الهادي، وهو الثور وسط البَيْدَر، تدور عليه الثِّيران في الدِّياسة[٥].

وقيل: الرحم تنفلق بالحيوان. وقيل: إنه كلُّ ما انفلق عن جميع ما خَلَق من الحيوان والصبحِ والحَبِّ والنَّوَى، وكل شيء من نبات وغيره؛ قاله الحسن وغيره. قال الضحاك: الفَلَقُ الخَلْق كُلُّه[٦]؛ قال:

وَسْـوَسَ يَـدْعُـو مُـخْـلِـصًـا رَبَّ الـفَـلَـقْ ... سِـرًّا وقَـدْ أَوَّنَ تَـأْوِيـنَ الـعُـقُـقْ[٧]

قلت: هذا القول يشهد له الاشتقاق؛ فإن الفَلْق الشَّق، فَلَقْت الشيء فَلْقاً، أي:

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣١٣.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٤. وما بعده منه.

(٣) ديوان زهير ص ٣٥.

(٤) ديوان النابغة ص ٧٩، وصدره: وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه. والضواجع: منحنى الوادي. القاموس (ضجع)

(٥) الصحاح (ركس).

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٧٤.

(٧) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٠٨. والتأوين: امتلاء البطن، والعُقُق: جمع عَقوق، وهي الحامل. والراجز يصف أُتُناً وردت الماء فشربت حتى امتلأت خواصرها. اللسان (أون).

شققته. والتفليق مثله. يقال: فَلَقْته فانفلق وتَفَلَّق. فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونَوًى وماء فهو فَلَق؛ قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] قال: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. وقال ذو الرُّمّة يصف الثورَ الوَحْشِيّ:

حَتَّى إذَا ما انجَلَى عن وجهِه فَلَقٌ هادِيهِ في أُخْرَيَاتِ اللَّيلِ مُنْتَصِبُ[١]

يعني بالفلق هنا: الصبح بعينه. والفلق أيضاً: المطمئنُّ من الأرض بين الرَّبوتين، وجمعه: فُلْقان، مثل خَلَق وخُلْقان. وربما قالوا: كان ذلك بفالق كذا وكذا، يريدون المكانَ المنحدر بين الربوتين. والفَلَق أيضًا مِقطرة[٢] السَّجان. فأما الفِلْق ـ بالكسر ـ: فالداهية والأمر العجب؛ تقول منه: أفلق الرجلُ وافتلق. وشاعر مُفْلِق، وقد جاء بالفِلْق. والفِلْق أيضاً: القضيب يُشَقُّ باثنين، فيعمل منه قَوْسان؛ يقال لكل واحدة منهما: فِلْق. وقولهم: جاء بعُلَق فُلَقَ ـ وهي الداهية ـ لا تُجْرى[٣]. يقال منه: أعلقت وأفلقت، أي: جئت بعُلَق فُلَق. ومرَّ يفتلق في عَدْوِه، أي: يأتي بالعجب من شدَّتِه[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ قيل: هو إبليس وذُرِّيته. وقيل: جهنم. وقيل: هو عامٌّ، أي: من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ خلقَه الله عزَّ وجلَّ[٥].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ اختُلف فيه؛ فقيل: هو الليل. والغَسَق: أولُ ظُلمةِ الليل؛ يقال منه: غَسَقَ الليلُ يَغْسِق، أي: أظلم[٦]. قال ابن قيس الرقيات:

إنَّ هـذا الـلـيـلَ قـد غَـسَـقـا واشْـتَـكَـيْـتُ الـهَـمَّ والأَرَقـا[٧]

---

(١) ديوان ذي الرمة ١/ ٩٢ ، وفيه: حتى إذا ما جلا.. وهي الرواية الصحيحة فيما قاله ابن بري، كما في اللسان (فلق). وقوله: هاديه، أي: أوله. شرح الديوان لأبي نصر الباهلي.

(٢) المِقْطرة: خشبة فيها خروق تُدخَل فيها أرجل المحبوسين. الصحاح (قطر).

(٣) أي: لا تنصرف.

(٤) الصحاح (فلق).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٧٤ .

(٦) الصحاح (غسق).

(٧) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيَّات ص ١٨٧ .

وقال آخر:

يا طيفَ هندٍ لقد أبقَيت لي أَرَقاً إذْ جِئتَنا طارِقًا والليلُ قَدْ غَسَقَا[١]

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسُّدّي وغيرِهم. و«وَقَبَ» على هذا التفسير: أظلم؛ قاله ابن عباس. والضحاك: دَخَلَ. قتادة: ذَهَبَ. يَمانُ بن رِئاب: سَكَن. وقيل: نزل؛ يقال: وَقَب العذابُ على الكافرين: نَزَلَ؛ قال الشاعر:

وَقَبَ العذابُ عليهمُ فكَأَنَّهُمْ لَحِقَتْهُمُ نارُ السَّمُومِ فأُحْصِدُوا[٢]

وقال الزجاج[٣]: قيل: الليل غاسق لأنه أبردُ من النهار. والغاسق: البارد. والغَسَق: البرد؛ ولأن في الليل تخرج السِّباع من آجامها، والهوامُّ من أماكنها، وينبعث أهلُ الشرِّ على العيث والفساد. وقيل: الغاسق: الثُّريَّا؛ وذلك أنها إذا سقطت كَثُرتِ الأسقامُ والطواعين، وإذا طلعت ارتفع ذلك؛ قاله عبد الرحمن بن زيد. وقيل: هو الشمس إذا غربت؛ قاله ابن شهاب.

وقيل: هو القمر[٤]. قال القُتَبِيّ[٥]: «إذا وقب» القمر: إذا دخل في ساهوره، وهو كالغلاف له، وذلك إذا خُسِفَ به. وكلُّ شيء أسودُ فهو غَسَق. وقال قتادة: «إذا وقَبَ»: إذا غابَ. وهو أصحُّ؛ لأن في الترمذيّ عن عائشة: أن النبيّ ﷺ نظر إلى القمر، فقال: «يا عائشة، استعيذي بالله من شرِّ هذا، فإن هذا هو الغاسقُ إذا وقَبَ». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح[٦].

وقال أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي في تأويل هذا الحديث: وذلك أن

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، والأقوال التي بعده منه.

(٢) ذكره السمين في الدر المصون ١١/ ١٥٩.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٣٧٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٧٥.

(٥) في تفسير غريب القرآن ص ٥٤٣، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٣٨.

(٦) سنن الترمذي (٣٣٦٦)، وأخرجه أحمد (٢٥٨٠٢).

أهل الرِّيب يتَحيَّنون وَجبة القمر، وأنشد:

أراحني اللهُ مِن أشياءَ أكرهُها   منها العجوزُ ومنها الكلبُ والقمرُ
هذا يبوحُ وهذا يستضاءُ به   وهذه ضِمْرِزٌ قَوَّامَةُ السَّحَرِ[(١)]

وقيل: الغاسق: الحية إذا لدغت. وكأن الغاسق نابُها؛ لأن السمَّ يغسق منه، أي: يسيل. ووقب نابها: إذا دخل في اللَّدِيغ. وقيل: الغاسق: كل هاجم يضرّ، كائناً ما كان؛ من قولهم: غسقت القرحة: إذا جرى صديدُها.

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ يعني الساحرات اللائي ينفُثْن في عُقَد الخيط حين يَرْقِينَ عليها، شبه النفخ كما يعمل مَن يرقي. قال الشاعر:

أُعُوذُ بِربِّي مِنَ النَّافِثَا   تِ في عِضَهِ العاضِهِ المُعْضِه[(٢)]

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرة:

نَفَثت في الخيطِ شَبِيهَ الرُّقَى   مِن خشيةِ الجِنَّة والحاسِدِ[(٣)]

وقال عنترة:

فإنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أنْفُث عَلَيهِ   وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ له الفُقُودُ[(٤)]

السابعة: روى النَّسائي عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من عَقَدَ عُقدة ثم نَفَثَ فيها، فقد سَحَر، ومَن سَحَرَ فقد أشْرَكَ، ومَنْ تَعَلَّق شيئاً وُكِل إليه»[(٥)].

---

(١) ذكرهما الجاحظ في المحاسن والأضداد ص ١٧٢، وابن الجوزي في أخبار النساء ص ١٤٩، مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) ذكره الماوردي النكت والعيون ٦/ ٣٧٥، والعِضَه: السِّحر، والعاضه: الساحر. اللسان (عضه) والبيت فيه.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٧٥.

(٤) ديوان عنترة ص ٤٢. وسلف ١٣/ ١٥٩.

(٥) سنن النسائي ٨/ ١١٢. وفي إسناده عبّاد بن ميسرة، ضعّفه أحمد ويحيى، قال الذهبي في الميزان ٢/ ٣٧٨: هذا الحديث لا يصح للينِ عبّاد وانقطاعه. اهـ. وقوله: «تعلَّق شيئاً» أي: من علَّق على نفسه شيئاً من التعاويذ والتمائم معتقداً أنها تجلب إليه نفعاً أو تدفع ضرًّا. النهاية (علق).

واختلِف في النفْث عند الرُّقَى، فمنعه قوم، وأجازه آخرون. قال عكرمة: لا ينبغي للراقي أن ينفُث، ولا يمسح ولا يعقِد. قال إبراهيم: كانوا يكرهون النَّفث في الرُّقَى. وقال بعضهم: دخلت على الضحاك وهو وَجِعٌ، فقلت: ألا أُعَوِّذكَ يا أبا محمد؟ قال: بلى، ولكن لا تنفث؛ فعوَّذتُه بالمعوذتين. وقال ابنُ جريج: قلت لعطاء: القرآن يُنفَخ به أو يُنْفَثُ؟ قال: لا شيء من ذلك، ولكن تقرؤه هكذا. ثم قال بعد: انفُث إن شئت. وسُئل محمد بن سِيرين عن الرُّقية يُنْفث فيها، فقال: لا أَعلم بها بأساً[1]. وإذا اختلفوا فالحاكم بينهم السُّنة؛ روت عائشة أن النبيّ ﷺ كان ينفث في الرُّقية؛ رواه الأئمة، وقد ذكرناه أوّل السورة وفي «سُبْحان»[2].

وعن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتَتْ به أُمُّه النبيَّ ﷺ، فجعل ينفُث عليها ويتكلَّم بكلام؛ زعم أنه لم يحفظه[3]. وقال محمد بن الأشعث: ذُهِب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء، فرقَتْني وَنَفَثَت[4].

وأما ما رُوي عن عكرمة من قوله: لا ينبغي للراقي أن ينفُث؛ فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفْث في العُقَد مما يُستعاذ به، فلا يكون بنفسه عُوذة. وليس هذا هكذا؛ لأن النفث في العُقَد إذا كان مذموماً لم يجب أن يكون النفث بلا عُقد مذموماً. ولأن النفث في العُقَد إنما أُريد به السحر المُضِرّ بالأرواح، وهذا النفث لاستصلاح الأبدان، فلا يُقاس ما ينفع بما يضر[5]. وأما كراهة عكرمة المسحَ فخلاف السنة. قال علي ﷺ: اشتكيت، فدخل عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا أقول: اللهمَّ إنْ كان أجلي قد حَضَر فأَرِحني، وإن كان متأخِّراً فاشفني وعافني، وإن كان بلاءً فصبِّرني. فقال النبيّ ﷺ:

---

(١) الاستذكار ٢٧/ ٣٠ - ٣١، ما عدا قول ابن جريج.

(٢) ١٣/ ١٥٨ - ١٥٩.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٤٣.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٤ وفيه: قيس بن محمد بن الأشعث بدل: محمد بن الأشعث.

(٥) التمهيد ٨/ ١٣٣ بنحوه.

«كيف قلت»؟ فقلت له. فَمَسحني بيده، ثم قال: «اللهم اشْفِه» فما عاد ذلك الوجع بعد[١].

وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورُويس عن يعقوب: «ومِن شرِّ النافثاتِ» في وزن فاعلات. ورُوِيت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٢]. ورُوي أن نساءً سَحَرْنَ النبيَّ ﷺ في إحدى عشرة عقدةً؛ فأنزل الله المعوِّذتين إحدى عشرة آية. قال ابن زيد: كُنَّ من اليهود؛ يعني السواحر المذكورات. وقيل: هنّ بنات لَبِيد بن الأعصم[٣].

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قد تقدم في سورة «النساء» معنى الحسد[٤]، وأنه تمنِّي زوالِ نعمة المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلُها. والمنافسة هي تمني مثلَها وإن لم تزل. فالحسدُ شرٌّ مذموم. والمنافسة مباحةٌ، وهي الغِبطة. وقد روي أن النبيَّ ﷺ قال: «المؤمن يَغْبِطُ، والمنافق يَحْسُد»[٥]. وفي «الصحيحين»: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين»[٦] يريد: لا غِبْطَةَ. وقد مضى في سورة «النساء»[٧] والحمد لله.

قلت: قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسدُه بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسدُ على إيقاع الشرِّ بالمحسود، فيَتْبع مساوئه ويطلب عَثَراته. قال ﷺ: «إذا

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٥٧).

(٢) القراءات الشاذة ص ١٨٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٣٩، وهي غير المشهورة عن رويس.

(٣) تفسير البغوي ٥/ ٥٤٧، وزاد المسير ٩/ ٢٧٥.

(٤) ٦/ ٤١٥ وما بعدها، وتقدم أيضاً في البقرة ٢/ ٣١٣ وما بعدها.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٧٦ - ٣٧٧، والحديث ذكره ملا علي القاري في المصنوع (٢٦٨) من كلام الفضيل بن عياض.

(٦) صحيح البخاري (٧٣)، وصحيح مسلم (٨١٦)، وأخرجه أحمد (٣٦٥١)، وفي الباب عن عدد من الصحابة تنظر في مسند أحمد.

(٧) سلف في سورة النساء الكلام عن الحسد ـ كما ذكر المصنف قريباً ـ دون ذكر الحديث.

حَسَدت فلا تَبْغِ» الحديث. وقد تقدم[١]. والحسد أوّلُ ذنب عُصِي الله به في السماء، وأولُ ذنب عُصِي به في الأرض، فحسَدَ إبليس آدمَ، وحسد قابيلُ هابيلَ. والحاسدُ ممقوتٌ مَبْغوض مطرود ملعون. ولقد أحسن من قال:

قـل لـلـحـسـود إذا تَـنَـفَّـسَ طَـعْـنـةً ... يـا ظـالـمًـا وكـأنـهُ مَـظْـلُـومُ[٢]

التاسعة: هذه سورة دالَّةٌ على أن الله سبحانه خالقُ كلِّ شرٍّ، وأمر نبيَّه ﷺ أن يتعوَّذ من جميع الشرور. فقال: «مِنْ شرِّ ما خَلَقَ». وجعل خاتمة ذلك الحسد، تنبيهاً على عِظمه، وكثرة ضرره. والحاسد عدوٌّ نعمة الله.

قال بعض الحكماء: بارزَ الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. وثانيها: أنه ساخطٌ لِقسمة ربِّه، كأنه يقول: لِمَ قسمتَ هذه القسمة. وثالثها: أنه ضادَّ فعلَ الله، أي: إنَّ فضلَ الله يُؤتِيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله. ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خِذلانهم وزوال النعمة عنهم. وخامسها: أنه أعان عدوَّه إبليس.

وقيل: الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامةً، ولا ينال عند الملائكة إلا لَعنةً وبَغْضاء، ولا ينال في الخَلْوة إلا جَزَعاً وغمًّا، ولا ينال في الآخرة إلا حُزْناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بُعداً ومَقْتاً.

ورُوي أن النبيَّ ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يُستجاب دعاؤهم: آكلُ الحرام، ومُكثِرُ الغِيبة، ومن كان في قلبه غِلٌّ أو حَسَدٌ للمسلمين»[٣]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) ٣٩٨/١٩، والحديث ضعيف، وينظر تخريجه فيما سلف.

(٢) قائله ابن المعتز، وهو في ديوانه ص ٣٦٤، وفيه: صعدة، بدل: طعنة.

(٣) لم نقف عليه.

تفسير سورتى المعوذتين

وهما مدنيتان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلة ، عن زر بنُ حُبَيْش قال : قلت لأبى بن كعب : إن ابن مسعود [كان] [1] لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرنى أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فقلتها، قال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فقلتها . فنحن نقول ما قال النبى ﷺ [2] ، [3].

ورواه أبو بكر الحُميدى فى مسنده ، عن سفيان بن عيينة ، حدثنا عبدة بن أبى لُبَابة وعاصم بن بهدلة ، أنهما سمعا زر بن حبيش قال : سألتُ أبى بن كعب عن المعوذتين ، فقلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يَحُكهما من المصحف . فقال : إنى سألت رسول الله ﷺ ، فقال : « قيل [4] لى : قل ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [5] .

وقال أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر قال : سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال : سألتُ النبى ﷺ عنهما فقال : « قيل لى ، فقلت لكم ، فقولوا » . قال أبى : فقال لنا النبى ﷺ فنحن نقول [6] .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا عَبَدَةُ بن أبى لُبَابة ، عن زر بن حُبَيْش ــ وحدثنا عاصم عن زر ــ قال : سألت أبى بن كعب فقلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إنى سألت النبى ﷺ فقال : « قيل لى ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [7].

ورواه البخارى أيضاً والنسائى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدة وعاصم بن أبى النجود ، عن زر بن حبيش ، عن أبى بن كعب ، به [8] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الأزرق بن على ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصَّلْت بن بَهرَام ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كان عبد الله يَحُك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما

(١) زيادة من المسند .
(٢) فى م : « عليه السلام » .
(٣) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٤) فى م : « قال » .
(٥) مسند الحميدى (١/ ١٨٥) .
(٦) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٧) .
(٨) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٦) .

أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما [١] .

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن [٢] بن يزيد قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه،ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله ــ قال الأعمش: وحدثنا عاصم،عن زر بن حبيش ،عن أبى بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله ﷺ ، قال : «قيل لى ، فقلت » [٣].

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبى ﷺ ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضى الله عنهم ، كتبوهما [٤] فى المصاحف الأئمة ،ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة .

وقد قال مسلم فى صحيحه : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبى حَازم ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ » [٥] .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضا ،والترمذى ،والنسائى ، من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن عقبة ، به [٦]. وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبى عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله ﷺ فى نَقب من تلك النقاب ، إذ قال لى : « يا عقبة ، ألا تَركب ؟ » . قال : [فَأجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه . ثم قال : «يا عُقيب ، ألا تركب ؟ » .قال] [٧] فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : « يا عُقيب ، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ ». قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأنى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ، ثم مر بى فقال : « كيف رأيت يا عقيب [٨]،اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

ورواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن ابن جابر، به [٩].

---

(١) ورواه البزار فى مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبى يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : « وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قرأ بهما فى الصلاة، وأثبتتا فى المصحف ».

(٢) فى م : « عن عبد الله » .

(٣) زوائد المسند (٥/ ١٢٩) .

(٤) فى م : « أتبعوهما » .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨١٤) .

(٦) المسند (٤/ ١٤٤) وصحيح مسلم برقم (٨١٤) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٢) وسنن النسائى (٢/ ١٥٨) .

(٧) زيادة من المسند .

(٨) فى م : « يا عقب » .

(٩) المسند (٤/ ١٤٤) وسنن النسائى (٨/ ٢٥٣) .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً ، من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عقبة ،به [(١)] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني يزيد ابن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشي ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي،من طرق،عن علي بن رباح [(٢)]. وقال الترمذي : غريب.

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا يحيى [(٣)] بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن مشرَح بن هاعان ، عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد [(٤)].

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا حيوة بن شُرَيْح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنا بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن جُبَير بن نُفَير ، عن عقبة بن عامر أنه قال : إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء ، فركبها فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول الله ﷺ [(٥)] : « اقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ » . فأعادها له حتى قرأها ،فعرف أني لم أفرح بها جداً ، فقال : « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها » .

ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان ، عن بقية ، به [(٦)]. ورواه النسائي أيضاً من حديث الثوري، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين ، فذكر نحوه [(٧)] .

طريق أخرى : قال النسائي : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبي الأسد ، عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ » [(٨)].

طريق أخرى : قال النسائي : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ،عن ابن عجلان ،عن سعيد المقبري ، عن عقبة بن عامر قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال : « يا عقبة ، قل » . فقلت : ماذا أقول ؟ فسكت عني ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟ فسكت عني ، فقلت : اللهم ، اردده علي .فقال : « يا عقبة ، قل » . قلت:ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال :« ﴿ قُلْ أَعُوذُ

---

(١) سنن النسائي (٨/ ٢٥٢،٢٥٣) وسنن أبي داود برقم(١٤٦٢) .

(٢) المسند (٤/١٥٥) وسنن أبي داود برقم (١٥٢٣) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٠٣) وسنن النسائي (٣/ ٦٨) .

(٣) في م ، أ : « حدثنا محمد » .

(٤) المسند (٤/ ١٤٦) .

(٥) في م ، أ : « فقال رسول الله ﷺ لعقبة » .

(٦) المسند (٤/ ١٤٩) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٤٣،٧٨٤٤) .

(٧) سنن النسائي (٨/ ٢٥٢) .

(٨) سنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٥٦) .

بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « ما سأل سائل بمثلهما ، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما » (١) .

طريق أخرى : قال النسائى: أخبرنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث،عن مكحول ،عن عقبة بن عامر :أن رسول الله ﷺ قرأ بهما فى صلاة الصبح(٢) .

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا قتيبة ،حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر قال : اتبعت (٣) رسول الله ﷺ وهو راكب ، فوضعت يدى على قدمه (٤) فقلت : أقرئنى سورة هود أو سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئاً أنفع (٥) عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ » (٦) .

حديث (٧) آخر : قال النسائى : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبى عبد الله ، عن ابن عائش(٨) الجهنى : أن النبى ﷺ قال له : « يا ابن عائش ، ألا أدلك ــ أو : ألا أخبرك ــ بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » . قال : بلى ، يا رسول الله . قال : « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ،هاتان السورتان» (٩).

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين فى الحديث .

وقد تقدم فى رواية صُدَىِّ بن عجلان ، وفَرْوَةَ بن مُجَاهد ، عنه : « ألا أعلمك ثلاثَ سُوَر لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان (١٠) مثلهن؟ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ».

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجريرى ، عن أبى العلاء قال : قال رجل : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ،والناس يعتقبون ، وفى الظهر قلة ، فحانت نَزْلَة رسول الله ﷺ ونزلتى ، فلحقنى فضرب [من بعدى] (١١) منكبى، فقال: « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه ،ثم قال : «﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾» ، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال : « إذا صليت فاقرأ بهما » (١٢) .

---

(١) سنن النسائى (٨/ ٢٥٣) .
(٢) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢) .
(٣) فى م : « أتيت » .
(٤) فى م ، أ : « على قدميه » .
(٥) فى م : « أبلغ » .
(٦) سنن النسائى (٨/ ٢٥٤) .
(٧) فى أ : « طريق » .
(٨) فى أ : « عباس » .
(٩) سنن النسائى (٨/ ٢٥١) .
(١٠) فى أ : « فى القرآن » .
(١١) زيادة من المسند .
(١٢) المسند (٥/ ٢٤) .

الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم .

ورواه النسائى عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية ، به[(١)] .

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثنى يزيد بن رومان ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمى ــ هو ابن أنيس ــ : أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ . ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ ، حتى فرغت منها ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ، حتى فرغت منها . فقال رسول الله ﷺ :« هكذا فَتَعَوَّذْ [(٢)]، ما تعوذَ المتعوذون بمثلهن قط »[(٣)].

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا عمرو بن على أبو حفص ، حدثنا بَدَل ، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجُرَيرى ، حدثنا أبو نَضْرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبى أنت وأمى ؟ قال : « اقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ». فقرأتهما ، فقال : « اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما » [(٤)] .

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن ، وينفث فى كفيه ،ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده .

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه،رجاء بركتها .

ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعنبى ، والنسائى عن قتيبة ــ ومن حديث ابن القاسم ، وعيسى بن يونس ــ وابن ماجة من حديث معن وبشر بن عُمَر، ثمانيتهم عن مالك ،به [(٥)].

وتقدم فى آخر سورة : ﴿ن﴾، من حديث أبى نضرة ، عن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان ،فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حديث حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ .

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٩) .

(٢) فى م : « فتعوذوا » .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٤٥) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٤) .

(٥) الموطأ (٢/ ٩٤٢) وصحيح البخارى برقم (٥٠١٦) وصحيح مسلم برقم (٣٩٠٢) وسنن أبى داود برقم (٣٩٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٥٤٩، ٧٥٤٤، ١٠٨٤٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٩) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمدبن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ،حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : الفلق : الصبح .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الصبح . ورُوى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظى ، وابن زيد ، ومالك عن زيد بن أسلم ،مثل هذا .

قال القرظى ، وابن زيد ، وابن جرير : وهى كقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام:٩٦] .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ورواه ابن أبى حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سماه ، عن السدى ، عن زيد بن على ، عن آبائه أنهم قالوا : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جب فى قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منا (١) نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه .

وكذا رُوى عن عمرو بن عَبَسَةَ (٢)، والسدى ، وغيرهم . وقد ورد فى ذلك حديثٌ مرفوع منكر، فقال ابن جرير :

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى ، حدثنا نصر ابن خزيمة الخراسانى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هُريرة ، عن النبى ﷺ قال : « ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جُبٌ فى جهنم مغطى » (٣) إسناده (٤) غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحبلى : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ :من أسماء جهنم .

قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح . وهذا هو الصحيح ،وهو اختيار البخارى ، رحمه الله ، فى صحيحه (٥) .

وقوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البنانى ، والحسن البصرى : جهنم وإبليس وذريته مما خلق .

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ، قال مجاهد : غاسقُ الليلُ إذا وقبَ غُروبُ الشمس . حكاه البخارى عنه . ورواه ابن أبى نَجيح ، عنه . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والضحاك ، وخُصَيف ، والحسن ، وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه .

---

(١) فى م ، أ : « خرجت منه » .
(٢) فى أ : « عنبسة » .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) .
(٤) فى م : « إسناد » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) وصحيح البخارى (٨/ ٧٤١) « فتح » .

وقال الزهرى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ : الشمس إذا غربت . وعن عطية وقتادة : إذا وقب الليل : إذا ذهب . وقال أبو المهزم ، عن أبى هريرة : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ :كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : الغاسق سقوط الثريا ، وكان(١) الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

قال ابن جرير :ولهؤلاء من الأثر ما حدثنى : نصر بن على ، حدثنى بكار بن عبد الله ـ ابن أخى همام ـ حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبى سلمة ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ : « ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال : النجم الغاسق» (٢) .

قلت : وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبى ﷺ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : هو القمر .

قلت : وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود الحَفرى ، عن ابن أبى ذئب ، عن الحارث ،عن أبى سلمة قال : قالت عائشة ، رضى الله عنها : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فأرانى القمر حين يطلع ، وقال : « تَعوَّذِى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب » .

ورواه الترمذى والنسائى ، فى كتابى التفسير من سننيهما ، من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن ،به (٣) . وقال الترمذى:حسن صحيح . ولفظه : « تعوذى بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب » . ولفظ النسائى : « تعوَّذى بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب » .

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج ـ : هذا لا ينافى قولنا ؛ لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ،وكذلك النجوم لا تضىء ، إلا فى الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ،والحسن ، وقتادة والضحاك: يعنى : السواحر ـ قال مجاهد : إذا رقين ونفثن فى العقد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : ما من شىء أقرب من (٤) الشرك من رقية الحية والمجانين(٥) .

وفى الحديث الآخر : أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ فقال : «نعم». فقال :باسم الله أرْقِيك ،من كل داء يؤذيك،ومن شر كل حاسد وعين ،الله يشفيك (٦) .

(١) فى م : « وكانت » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .
(٣) المسند (٦/ ٦١) وسنن الترمذى برقم (٣٣٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠١٣٨) .
(٤) فى أ : « إلى » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .
(٦) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢١٨٦) من حديث أبى سعيد ، رضى الله عنه .

ولعل هذا كان من شكواه ، عليه السلام ، حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرَة الحسَّاد من اليهود فى رؤوسهم ، وجعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن حيَّان ، عن زيد بن أرقم قال : سحر النبى ﷺ رجلٌ من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ،عقد لك عُقَداً فى بئر كذا وكذا ، فَأرْسِل إليها من يجىء بها . فبعث رسول الله ﷺ [علياً ، رضى الله تعالى عنه] (١) فاستخرجها ، فجاء بها فحللها (٢) ، قال : فقام رسول الله ﷺ كأنما نَشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه [قط] (٣) حتى مات .

ورواه النسائى عن هنَّاد ، عن أبى معاوية محمد بن حَازم الضرير (٤) .

وقال البخارى فى « كتاب الطب » من صحيحه : حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابنُ جُرَيْج ، يقول : حدثنى آل عُرْوَة ، عن عروة ، فسألت هشاما عنه ، فحدثَنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ سُحر ، حتى كان يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ــ قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا ــ فقال : « يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب .قال : ومن طَبَّه ؟ قال: لَبيد بن أعصم ــ رجل من بنى زُرَيق حَليف ليهُودَ ، كان منافقاً ــ قال : وفيم ؟ قال : فى مُشط ومُشاقة . قال : وأين ؟ قال : فى جُف طَلْعَة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذَرْوَان » . قالت : فأتى [النبى ﷺ] (٥) البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التى أريتها ، وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين » . قال : فاستخرج (٦) . [قالت] (٧). فقلت : أفلا ؟ أى : تَنَشَّرْتَ؟ فقال : « أمَّا اللهُ فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً » (٨) .

وأسنده من حديث عيسى بن يونس ، وأبى ضَمْرة أنس بن عياض ، وأبى أسامة ، ويحيى القطان وفيه : « قالت : حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله » . وعنده : « فأمر بالبئر فدفنت » . وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبى الزِّناد والليث بن سعد (٩) .

وقد رواه مسلم ، من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير . ورواه أحمد ، عن

(١) زيادة من المسند .
(٢) فى م : « فحلها » .
(٣) زيادة من المسند .
(٤) المسند (٤/ ٣٦٧) وسنن النسائى (٧/ ١١٢) .
(٥) زيادة من صحيح البخارى .
(٦) فى أ : « فاستخرجه » .
(٧)زيادة من صحيح البخارى .
(٨) صحيح البخارى برقم (٥٧٦٥) .
(٩) صحيح البخارى برقم (٥٧٦٦،٦٣٩١،٥٨٦٣) .

عفان ، عن وُهَيب [(١)] ، عن هشام ، به [(٢)] .

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن إبراهيم بن خالد ، عن رباح ، عن مَعْمَر ، عن هشَام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرى أنه يأتى ولا يأتى ، فأتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث [(٣)].

وقال الأستاذ المفسر الثعلبى فى تفسيره : قال ابن عباس وعائشة ، رضى الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود ،فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبى ﷺ وعدة أسنان من مُشطه ، فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها . وكان الذى تولى ذلك رجل منهم ــ يقال له : [لبيد] [(٤)] بن أعصم ــ ثم دسها فى بئر لبنى زُرَيْق ، يقال لها : ذَرْوان ، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ،ولبث سته أشهر يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ،وجعل يَذُوب ولا يدرى ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طُبَّ . قال : وما طُبَّ ؟ قال : سحر . قال : ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طَبَّه ؟ قال : بمشط ومشاطة . قال : وأين هو ؟ قال : فى جُفِّ طلعة تحت راعوفة فى بئر ذَرْوَان ــ والجف : قشر الطلع ، والراعوفة : حجر فى أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح ــ فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً ، وقال : « يا عائشة ، أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى ؟ » . ثم بعث رسول الله ﷺ عليا والزبير وعمار بن ياسر ، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة ،وأخرجوا الجف ،فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر معقود ، فيه اثنتا عشرة [(٥)] عقدة مغروزة بالإبر . فأنزل الله تعالى السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الآخيرة ، فقام كأنما نَشطَ من عقال ، وجعل جبريل ، عليه السلام ،يقول : باسم الله أرْقيك ، من كل شر يؤذيك ، من حاسد وعين الله يشفيك . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نأخذ الخبيث نقتله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما أنا فقد شفانى الله ، وأكره أن يثير على الناس شراً » [(٦)] .

هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفى بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم ، والله أعلم .

(١) فى م : « وهب » .
(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٩) والمسند (٦/ ٩٦) .
(٣) المسند (٦/ ٦٣) .
(٤) زيادة من م ، أ . (٥) فى م ، أ : « فيه اثنا عشر » .
(٦) الكشف والبيان للثعلبى (ق١٩٤ المحمودية » .

١١٣ – سورة الفلق
(مكية وهى خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ١١٣ الفلق

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ١١٣ الفلق

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ١١٣ الفلق

﴿ سورة الفلق مكية مختلف فيها وآيها خمس ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل مايفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما
٢ قيل فلا إذ لاريب للعائذ فى قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها (من شر ماخلق) أى من شر ماخلقه من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره مما بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مداراً لإضافة الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد
٣ وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له
• بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى (إذا وقب)

وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ١١٣ الفلق

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ١١٣ الفلق

أى دخل ظلامه فى كل شىء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها
٤ لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الإنسان ووقوبه هجومه (ومن
شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقد عقداً فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النافثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أنه كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فأعطاها لليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر أريس فمرض النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه والزبير وعماراً رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبرة فجاؤا بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عنه تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شراً قالت عائشة رضى الله عنها ماغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد أبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق
٥ ليسهل حلها (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا أظهر مافى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب
مقدمات الشر ومبادىء الإضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد لا غيره. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى.



مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس، مدنية في قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقتادة وجماعة وهو الصحيح لأن سبب نزولها سحر اليهود كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهم إنما سحروه عليه الصلاة والسلام بالمدينة كما جاء في الصحاح فلا يلتفت لمن صحح كونها مكية وكذا الكلام في سورة الناس وآيها الخمس بلا خلاف. ولما شرح أمر الإلهية في السورة قبلها جيء بها بعدها شرحاً لما يستعاذ منه بالله تعالى من الشر الذي في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته، وهي والسورة التي بعدها نزلتا معاً كما في الدلائل للبيهقي فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ومن الافتتاح بقل أعوذ. وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليّ الليلة آيات لم أر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس». وأخرج البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿**قل هو الله أحد**﴾ و ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ و ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ ثم تمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات. وجاء في الحديث أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يمسي وثلاثاً حين يصبح كفته من كل شيء. وفي فضلهما أخبار كثيرة غير ما ذكر. وعن ابن مسعود أنه أنكر قرآنيتهما. أخرج الإمام أحمد والبزار والطبراني وابن مردويه من طرق صحيحة عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه إنهما ليستا من كتاب الله تعالى إنما أمر النبيّ ﷺ أن يتعوذ بهما. وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما قال البزار: لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف. وأخرج الإمام أحمد والبخاري والنسائي وابن حبان وغيرهم عن زر بن حبيش قال: أتيت المدينة فلقيت أُبيّ بن كعب فقلت له: يا أبا المنذر إني رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه. فقال: أما والذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد سألت رسول الله ﷺ عنهما وما سألني عنهما أحد منذ سألت غيرك. فقال: قيل لي قل فقلت فقولوا فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ. وبهذا الاختلاف قدح بعض الملحدين في إعجاز القرآن قال: لو كانت بلاغة ذلك بلغت حد الإعجاز لتميز به غير القرآن فلم يختلف في كونه منه، وأنت تعلم أنه قد وقع الإجماع على قرآنيتهما وقالوا إن إنكار ذلك اليوم كفر، ولعل ابن مسعود رجع عن ذلك وفي شرح المواقف أن اختلاف الصحابة في بعض سور القرآن مروي بالآحاد المفيدة للظن ومجموع القرآن منقول بالتواتر المفيد لليقين الذي يضمحل الظن في مقابلته، فتلك الآحاد مما لا يلتفت إليه ثم إن سلمنا اختلافهم فيما ذكر قلنا إنهم لم يختلفوا في نزوله على النبيّ ﷺ ولا

في بلوغه في البلاغة حد الإعجاز بل في مجرد كونه من القرآن وكذلك لا يضر فيما نحن بصدده انتهى. وعكس هذا القول في السورتين المذكورتين قيل في سورتي الخلع والحفد وفي ألفاظهما روايات منها ما يقنت به الحنفية، فقد روي أنهما في مصحف أُبيّ بن كعب وفي مصحف ابن عباس وفي مصحف ابن مسعود فهما إن صح أنهما كلام الله تعالى منسوخاً التلاوة وليسا من القرآن كما لا يخفى.

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ﴾ أي ألتجىء وأعتصم وأتحرز﴿بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ فعل بمعنى مفعول صفة مشبهة كقصص بمعنى مقصوص من فلق شق وفرّق وهو يعم جميع الموجودات الممكنة فإنه تعالى فلق بنور الإيجاد عنها سيما ما يخرج من أصل كالعيون من الجبال والأمطارمن السحاب والنبات من الأرض والأولاد من الأرحام، وخص عرفاً بالصبح وإطلاقهم المفلوق عليه مع قولهم فلق الله تعالى الليل عن الصبح على نحو إطلاق المسلوخ على الشاة مع قولهم: سلخت الجلد من الشاة وتفسيره بالمعنى العام أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ولفظه ﴿الفلق﴾ الخلق وأخرج الطستي عنه أنه فسره بالصبح. وأنشد رضي الله تعالى عنه قول زهير:

الفارج الهم مسد ولا عساكره ... كما يفرج غم الظلمة الفلق

وهو مروي عن جابر بن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جبير والقرطبي وابن زيد، وعليه فتعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجلد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه عز وجل، وقيل: إن في تخصيص ﴿الفلق﴾ بالذكر لأنه أنموذج من يوم القيامة فالدور كالقبور والنوم أخو الموت، والخارجون من منازلهم صباحاً منهم من يذهب لنضرة وسرور، ومنهم من يكون من مطالبة ديون في غموم وشرور إلى أحوال أخر تكون للعباد هي أشبه شيء بما يكون لهم في المعاد، وفي تفسير القاضي: إن لفظ الرب ها هنا أوقع من سائر الأسماء أي التي يجوز إضافتها إلى الفلق على ما قيل لأن الإعاذة من المضار تربية وهو على تعميم الفلق ظاهر لشموله للمستعيذ والمستعاذ منه، وعلى تخصيصه بالصبح قيل لأنه مشعر بأنه سبحانه قادر مغيّر للأحوال مقلق للأطوار فيزيل الهموم والأكدار. وقال الرئيس ابن سينا بعد أن حمل الفلق على ظلمة العدم المفلوقة بنور الوجود: إن في ذكر الرب سراً لطيفاً من حقائق العلم وذلك أن المربوب لا يستغني في شيء من حالاته عن الرب كما يشاهد في الطفل ما دام مربوباً، ولما كانت الماهيات الممكنة غير مستغنية عن إفاضة المبدأ الأول لا جرم ذكر لفظ الرب للإشارة إلى ذلك وفيه إشارة أخرى من خفيات العلوم وهو أن العوذ والعياذ في اللغة عبارة عن الالتجاء إلى الغير، فلما أمر بمجرد الالتجاء إلى الغير وعبّر عنه بالرب دل ذلك على أن عدم الحصول ليس لأمر يرجع إلى المستعاذ به المفيض للخيرات، بل لأمر يرجع إلى قابلها فإن من المقرر أنه ليس شيء من الكمالات وغيرها مبخولاً به من جانب المبدأ الأول سبحانه،

بل الكل حاصل موقوف على أن يصرف المستعد جهة قبوله إليه وهو المعني بالإشارة النبوية: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته ألا فتعرضوا لها» بين أن نفحات الألطاف دائمة وإنما الخلل من المستعد انتهى. وفي رواية عن ابن عباس أيضاً وجماعة من الصحابة والتابعين أن الفلق جب في جهنم. وأخرج ابن مردويه والديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ قال: «هو سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون، وإن جهنم لتعوذ بالله تعالى منه». وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن عنبسة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ فقال: «يا ابن عنبسة أتدري ما الفلق»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بئر في جهنم فإذا سعرت البئر فمنها تسعر جهنم لتتأذى منه كما يتأذى ابن آدم من جهنم». وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن كعب قال: الفلق بيت في جهنم إذا فتح صاح أهل النار من شدة حره وعن الكلبي أنه واد في جهنم وقيل هو جهنم وهو على ما في الكشاف من قولهم لما اطمأن من الأرض الفلق والجمع فلقان كخلق وخلقان وتخصيصه بالذكر قيل لأنه مسكن اليهود فعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال: لا أبالي أليس من ورائهم الفلق وفسر بما روي آنفاً عن كعب ومنهم الذي سحر النبيّ ﷺ ففي تعليق العياذ بالرب مضافاً إليه عدة كريمة بإعاذته ﷺ من شرهم. ولا يخفى أن هذا مما لا يثلج الصدر وأظن ضعف الأخبار السالفة ويترجح في نظري المعنى الأول للفلق.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي من شر الذي خلقه من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان من ذوات الطباع والاختيار، والظاهر عموم الشر للمضار البدنية وغيرها. وزعم بعضهم أن الاستعاذة ها هنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة، ثم جعل عمومها مدار إضافة الرب إلى الفلق بالمعنى العام وهو كما ترى. نعم الذي يتبادر إلى الذهن أن عمومه لشرور الدنيا وقال بعض الأفاضل: هو عام لكل شر في الدنيا والآخرة وشر الإنس والجن والشياطين وشر السباع والهوام وشر النار وشر الذنوب والهوى وشر النفس وشر العمل، وظاهره تعميم ما خلق بحيث يشمل نفس المستعيذ ولا يأبى ذلك نزول السورة ليستعيذ بها رسول الله ﷺ، وجوز بعضهم جعل ﴿ما﴾ مصدرية مع تأويل المصدر باسم المفعول وهو تكلف مستغنى عنه، وإضافة الشر إلى ﴿ما خلق﴾ قيل لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة المستتبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر الذي أوجد بمجرد أمركن من غير مادة فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة، والظاهر أنه عنى بعالم الأمر عالم المجردات وهم الملائكة عليهم السلام. وأورد عليه بعد غض الطرف عن عدم ورود ذلك في لسان الشرع أن منهم من يصدر منه شر كخسف البلاد وتعذيب العباد وأجيب بأن ذلك بأمره تعالى فلم يصدر إلاّ لامتثال الأمر لا لقصد الشر من حيث هو شر فلا إيراد نعم يرد أن كونهم مجردين خلاف المختار الذي عليه سلف الأمة ومن تبعهم، بل هم أجسام لطيفة نورية ولو سلم تجردهم قلنا بعدم حصر المجردات فيهم كيف وقد قال كثير بتجرد الجن فقالوا: إنها ليست أجساماً ولا حالة فيها بل هي جواهر مجردة قائمة بأنفسها مختلفة بالماهية بعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها كريمة حرة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة محبة للشرور والآفات، وبالجملة ما خلق أعم من المجرد على القول به وغيره والكل مخلوق له تعالى أي موجد بالاختيار بعد العدم إلاّ أن المراد الاستعاذة مما فيه شر من ذلك. وقرأ عمرو بن فائد على ما في البحر «من شرٍ» بالتنوين وقال ابن عطية: هي قراءة عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم

يخلق الشر. وحملوا ﴿ما﴾ على النفي وجعلوا الجملة في موضع الصفة أي من شر ما خلقه الله تعالى ولا أوجده وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل انتهى. وأنت تعلم أن القراءة بالرواية ولا يتعين في هذه القراءة هذا التوجيه بل يجوز أن تكون ﴿ما﴾ بدلاً من ﴿شر﴾ على تقدير محذوف قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي من شر شر ما خلق. ﴿وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبل لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه، ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاغتناء بالاستعاذة وادعى إلى الإعاذة والغاسق الليل إذا اعتكر ظلامه، وأصل الغسق الامتلاء يقال: غسقت العين إذا امتلأت دمعاً. وقيل: هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه على الاستعارة وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له لحدوثه فيه على حدّ نهاره صائم. وتنكيره لعموم شمول الشر لجميع أفراده ولكل أجزائه ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي إذا دخل ظلامه في كل شيء وأصل الوقب النقرة والحفرة ثم استعمل في الدخول، ومنه قوله:

وقب العذاب عليهم فكأنهم ... لحقتهم نار السموم فأخمدوا

وكذا في المغيب لما أن ذلك كالدخول في الوقب أي النقرة والحفرة وقد فسر هنا بالمجيء أيضاً والتقييد بهذا الوقت لأن حدوث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر، ومن أمثالهم الليل أخفى للويل وتفسير الغاسق بالليل والوقوب بدخول ظلامه. أخرجه ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ومجاهد وابن أبي حاتم عن الضحاك. وروي عن الحسن أيضاً وإليه ذهب الزجاج إلاّ أنه جعل الغاسق بمعنى البارد وقال: أطلق على الليل لأنه أبرد من النهار. وقال محمد بن كعب: هو النهار، و ﴿وقب﴾ بمعنى دخل في الليل وهو كما ترى، وقيل القمر إذا امتلأ نوراً على أن الغسق الامتلاء ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده. وقيل: التعبير عنه بالغاسق لسرعة سيره وقطعه البروج على أن الغسق مستعار من السيلان، وقيل التعبير عنه بذلك لأن جرمه مظلم وإنما يستنير من ضوء الشمس ووقوبه على القولين المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للمرض إلاّ في ذلك الوقت. قيل: وهو المناسب لسبب نزول واستدل على تفسيره بالقمر بما أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ يوماً إلى القمر لما طلع فقال: «يا عائشة استعيذي بالله تعالى من شر هذا فإن هذا الغاسق إذا وقب». ومن سلم صحة هذا لا ينبغي له العدول إلى تفسير آخر. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب أنه قال: الغاسق إذا وقب الشمس إذا غربت، وكأن اطلاق الغاسق عليها لامتلائها نوراً. ونقل ابن زيد عن العرب أن الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند ذلك، وروى تفسيره بذلك غير واحد عن أبي هريرة مرفوعاً وفي الحديث: «إذا طلع النجم ارتفعت العاهة». وفي بعض الروايات زيادة عن جزيرة العرب وفي بعضها: «ما طلع النجم ذات غداة إلاّ رفعت كل آفة أو عاهة أو خفت». وفيه روايات أخر فليراجع شرح المناوي الكبير للجامع الصغير. وقيل أريد بذلك الحية إذا لدغت وإطلاق الغاسق عليها لامتلائها سماً وقتل، أريد سمها إذا دخل في الجسد، وأطلق عليه الغاسق لسيلانه من نابها وكلا القولين لا يعول عليه. وقيل هو كل شر يعتري الإنسان، والشر يوصف بالظلمة والسواد، ووقوبه هجومه. وذكر المجد الفيروزآبادي في القاموس في مادة وقب قولاً في معنى الآية زعم أنه حكاه الغزالي وغيره عن ابن عباس ولا أظن صحة نسبته إليه لظهور أنه عورة بين الأقوال ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي ومن شر النفوس السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها، فالنفاثات صفة للنفوس واعتبر ذلك لمكان التأنيث مع أن تأثير السحر إنما هو من جهة النفوس الخبيثة

والأرواح الشريرة وسلطانه منها. وقدر بعضهم النساء موصوفاً والأول أولى ليشمل الرجال ويتضمن الإشارة السابقة ويطابق سبب النزول، فإن الذي سحره ﷺ كان رجلاً على المشهور كما ستسمع إن شاء الله تعالى. وقيل: أعانه بعض النساء ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب المؤنث على المذكر هنا وهو جائز على ما فصله الخفاجي في شرح درة الغواص. والنفث النفخ مع ريق كما قال الزمخشري. وقال صاحب اللوامح: هو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فإن كان بريق فهو تفل والأول هو الأصح لما نقله ابن القيم من أنهم إذا سحروا واستعانوا على تأثير فعلهم بنفس يمازجه بعض أجزاء أنفسهم الخبيثة. وقرأ الحسن «النُّفَّاثَاتِ» بضم النون وقرأ هو أيضاً وابن عمر وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية «النافثات» وأبو الربيع والحسن أيضاً «النفثات» بغير ألف كالحذرات، وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى البخاري ومسلم وابن ماجة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا الله ثم دعا ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله تعالى قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجه الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال في بئر ذي أروان». قالت: فأتاها رسول الله ﷺ في أناس من أصحابه ثم قال: «يا عائشة والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين». قالت: فقلت يا رسول الله أفلا أحرقته؟ قال: «لا أما أنا فقد عافاني الله تعالى وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمرت بها فدفنت». وهذان الملكان على ما يدل عليه رواية ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس هما جبريل وميكائيل عليهما السلام، ومن حديثهما في الدلائل للبيهقي بعد ذكر حديث الملكين فما أصبح رسول الله ﷺ غدا ومعه أصحابه إلى البئر فدخل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوثة فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها إبر مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فأتاه جبريل عليه السلام بالمعوذتين فقال: يا محمد ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ وحل عقدة ﴿**من شر ما خلق**﴾ وحل عقدة حتى فرغ منهما وحل العقد كلها وجعل لا ينزع إلاّ وجد لها ألماً ثم يجد بعد ذلك راحة، فقيل: يا رسول الله لو قتلت اليهودي؟ قال: «قد عافاني الله تعالى وما يراه من عذاب الله تعالى أشد». وفي رواية إن الذي تولى السحر لبيد بن الأعصم وبناته، فمرض النبيّ ﷺ فنزل جبريل بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره، فأرسل ﷺ علياً كرم الله تعالى وجهه والزبير وعماراً فنرحوا ماء البئر وهو كنقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر فأخرجوا أسنان المشط ومعها وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فجاؤوا بها النبي ﷺفجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد عليه الصلاة والسلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين. فقال ﷺ كأنما أنشط من عقال الخبر. والرواية الأولى أصح من هذه.

وقال الإمام المازري: قد أنكر ذلك الحديث المبتدعة من حيث إنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وإن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وأجيب بأن الحديث صحيح وهو غير مراغم للنص ولا يلزم عليه حط منصب النبوة والتشكيك فيها لأن الكفار أرادوا بقولهم مسحور أنه مجنون وحاشاه، ولو سلم إرادة ظاهره فهو كان قبل

هذه القصة أو مرادهم أن السحر أثر فيه وأن ما يأتيه من الوحي من تخيلات السحر وهو كذب أيضاً لأن الله تعالى عصمه فيما يتعلق بالرسالة، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث عليه الصلاة والسلام بسببها وهي مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من ذلك ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطىء وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة، وقيل إنه يخيل أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما تخيله فتكون اعتقاداته عليه الصلاة والسلام على السداد. وقال القاضي عياض: قد جاءت روايات حديث عائشة مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده الشريف ﷺ وظواهر جوارحه لا على عقله عليه الصلاة والسلام وقلبه واعتقاده، ويكون معنى ما في بعض الروايات حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، وفي بعض أنه يخيل إليه أنه الخ: أنه يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء في الروايات من أنه عليه الصلاة والسلام يخيل إليه فعل شيء ولم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة انتهى. وبعضهم أنكر أصل السحر ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، ومذهب أهل السنة وعلماء الأمة على إثباته وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء لدلالة الكتاب والسنة على ذلك ولا يستنكر في العقل أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام مخصوصة. والمزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلاّ الساحر وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة ومع ذلك لا يخلو من تأثير نفساني، ثم إن القائلين به اختلفوا في القدر الذي يقع به فقال بعضهم: لا يزيد تأثيره على قدر التفرقة بين المرء وزوجه لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيماً لما يكون عنده وتهويلاً له، فلو وقع به أعظم منه لذكره لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلاّ بأعلى أحوال المذكور، ومذهب الأشاعرة أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك وهو الصحيح عقلاً لأنه لا فاعل إلاّ الله وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى، ولا تفترق الأفعال في ذلك وليس بعضها بأولى من بعض، ولورود الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير إليه ولكن لا يوجد شرع قاطع يوجب الاقتصار على ما قاله القائل الأول. وذكر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنص في منع الزيادة وإنما النظر في أنه ظاهر أم لا، والفرق بين الساحر وبين النبيّ والولي على قول الأشاعرة بأنه يجوز خرق العادة على يد الساحر مبين في الكتب الكلامية وغيرها من شروح الصحاح. وقيل في الآية المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وهو يقرب من بدع التفاسير ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أي إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولاً وفعلاً ومن ذلك على ما قيل النظر إلى المحسود وتوجيه نفسه الخبيثة نحوه على وجه الغضب فإن نفس الحاسد حينئذ تتكيف بكيفية خبيثة ربما تؤثر في المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد شراً قد يصل إلى حد الإهلاك، ورب حاسد يؤذي بنظره بعين حسده نحو ما يؤذي بعد الحيات بنظرهن. وذكروا أن العائن والحاسد يشتركان في أن كلاً منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه إلاّ أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين والمعاينة والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور. وأيضاً العائن قد يعين من لا يحسده من حيوان وزرع وإن كان لا ينفك من حسد صاحبه والتقييد بذلك إذ لا ضرر، بل قيل إن ضرر الحسد إنما يحيق بالحاسد لا غير كما قال علي كرم الله تعالى

وجهه: لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله. وقال ابن المعتز:

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وليعلم أن الحسد يطلق على تمني زوال نعمة الغير وعلى تمني استصحاب عدم النعمة ودوام ما في الغير من نقص أو فقر أو نحوه، والإطلاق الأول هو الشائع والحاسد بكلا الإطلاقين ممقوت عند الله تعالى وعند عباده عز وجل آت باباً من الكبائر على ما اشتهر بينهم، لكن التحقيق أن الحسد الغريزي الجبلي إذا لم يعمل بمقتضاه من الأذى مطلقاً بل عامل المتصف به أخاه بما يحب الله تعالى مجاهداً نفسه لا إثم فيه بل يثاب صاحبه على جهاد نفسه وحسن معاملته أخاه ثواباً عظيماً لما في ذلك من مشقة مخالفة الطبع كما لا يخفى ويطلق الحسد على الغبطة مجازاً وكان ذلك شائعاً في العرف الأول وهي تمني أن يكون له مثل ما لأخيه من النعمة من غير تمني زوالها وهذا مما لا بأس به، ومن ذلك ما صح من قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله تعالى مالاً وسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله تعالى الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس». وقال أبو تمام:

هم حسدوه لا ملومين مجده وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال أيضاً:

وأعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلا حسن في مثلها الحسد

هذا وقال الرئيس ابن سينا: الغاسق القوة الحيوانية فهي ظلمة غاسقة منكدرة على خلاف النفس الناطقة التي هي المستعيذة فإنها خلقت في جوهرها نقية صافية مبرأة عن كدورات المادة وعلائقها قابلة لجميع الصور والحقائق، وإنما تتلوث من الحيوانية والنفاثات في العقد إشارة إلى القوى النباتية من حيث إنها تزيد في المقدار من جميع جهاته الطول والعرض والعمق فكأنها تنفث في العقد الثلاث، ولما كانت العلاقة بين النفس الإنسانية والقوى النباتية بواسطة الحيوانية لا جرم قد ذكر القوى الحيوانية على القوى النباتية والشر اللازم من هاتين القوتين في جوهر النفس هو استحكام علائق البدن وامتناع تغذيها بالغذاء الموافق لها واللائق بجوهرها وهو الإحاطة بملكوت السماوات والأرض والانتقاش بالنقوش الباقية. وعنى بقوله تعالى ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ النزاع الحاصل بين البدن وقواه وبين النفس، فالحاسد هو البدن من حيث له القوتان والمحسود هو النفس فالبدن وبال عليها فما أحسن حالها عند الإعراض عنه وما أعظم لذتها بالمفارقة إن لم تكن تلوثت منه. وقيل: الغاسق إشارة إلى المعدن والنفاثات إلى النباتات والحاسد إلى الحيوان، ولما كان الإنسان لا يتضرر عن الأجسام الفلكية وإنما يتضرر عن الأجسام العنصرية وهي إما معدن أو نبات أو حيوان أمر بالاستعاذة من شر كل منها وكلا القولين كما ترى والله تعالى أعلم.